جمعية القرآن الكريم

الكتاب : تفسير سورة مريم عليها السلام

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى في رمضان المبارك 2008 م - 1429 هـ - بيروت-لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسیر
سورۃ مریم علیہا السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ [1]

هذا التعبير العميق بأنهم (يتلونه حق تلاوته) يضع لنا خطاً واضحاً تجاه القرآن الكريم والكتب السماوية، فالناس امام الآيات الالهية على أقسام.

قسم يكرسون اهتمامهم على أداء الألفاظ بشكل صحيح وعلى قواعد التجويد، ويشغل ذهنهم دوماً الوقف والوصل والادغام والغنة في التلاوة، ولا يهتمون إطلاقاً بمحتوى القرآن فما بالك بالعمل به!

وقسم يتجاوز إطار الألفاظ ويتعمق في المعاني ويدقّق في الموضوعات القرآنية، ولكن لا يعمل بما يفهم!

وقسم ثالث، وهم المؤمنون حقاً، يقرأون القرآن باعتباره كتاب عمل، ومنهجاً كاملاً للحياة، ويعتبرون قراءة الألفاظ والتفكير في المعاني وإدراك مفاهيم الآيات الكريمة مقدمة للعمل، ولذلك تصعد في نفوسهم روح جديدة كلما قرأوا القرآن، وتتصاعد في داخلهم عزيمة وإرادة جديدتان واستعداد جديد للأعمال الصالحة، وهذه هي التلاوة الحقة.

(١) - البقرة / ١٢١

ورد عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: « يرتلون آياته، ويتفقهون به، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخافون وعيده، ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره، وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه، وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده وإنما هو تدبّر آياته والعمل بأركانه»، قال الله تعالى:

(كتابٌ أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته) [1]

ونحن في جمعية القرآن الكريم وفي أجواء ولادة النبي عيسى عليه السلام نقدم للأخوة والأخوات الأعزاء تفسير (سورة مريم عليها السلام) ونحرص على ان تكون القراءة لهذه السورة والحفظ لها وتدبرها مقدمة للعمل لأنه لا فائدة من العلم إذا لم يعقبه العمل، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :« العلم بلا عمل كالرامي بلا وتر».

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والنجاح في الدنيا والآخرة ونسأله سبحانه قبول هذا القليل لخدمة القرآن المجيد ونشر معارفه وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

جمعية القرآن الكريم
للتوجيه والارشاد
دائرة الدراسات

(١) - تفسير الامثل:ج١/ص٢٦٠

سُورَةُ مَرْيَمَ

هذه السورة المباركة مكيّة وعدد آياتها ثمان وتسعون آية.

فضل قراءة سورة مريم:

روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: « من قرأها أعطي من الأجر بعدد من صدّق بزكريا وكذب به، ويحيى ومريم وموسى وعيسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عليهم السلام عشر حسنات، وبعدد من دعى لله ولداً، وبعدد من لم يدع ولداً » [1]

إن هذا الحديث دعوة الى السعي والجد في خطين مختلفين:

خط مساندة ودعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والطاهرين والخيرين.

وخط محاربة المشركين والمنحرفين والفاسقين، لأنا نعلم أن هذه المكافئات والعطايا الجزيلة لا تعطى لمن يتلفظ كلمات السورة بلسانه فقط، ولا يعمل بأوامره، بل إن هذه الألفاظ المقدسة مقدمة للعمل.

وفي حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام: « من أدمن قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده » [2]

إن هذا الغنى وعدم الاحتياج قبس من وجود محتوى السورة وسريانها في أعماق روح الانسان، وانعكاسها من خلال أعماله وأقواله وسلوكه.

---

(١) – مجمع البيان: ج ٥/ص ٧٧٢

(٢) – مجمع البيان: ج ٥ / ص ٧٧٢

موضوعات السورة:

تحتوى هذه السورة عدّة أقسام مهمة:

القسم الأول: يتحدث عن قصص زكريا عليه السلام ومريم عليها السلام والمسيح عليه السلام ويحيى عليه السلام وابراهيم عليه السلام بطل التوحيد، وولده إسماعيل عليه السلام وادريس عليه السلام وبعض آخر من كبار أنبياء الله عليهم السلام.

القسم الثاني: يتحدث عن أمور تربوية واجتماعية لها خصوصيات مهمة.

القسم الثالث: عبارة عن المسائل المرتبطة بالقيامة، وكيفية البعث، ومصير المجرمين، وثواب المتقين، وأمثال ذلك.

القسم الرابع: وفيه مواعظ ونصائح يكمل الأقسام السابقة.

القسم الخامس: عبارة عن الاشارات المرتبطة بالقرآن، ونفي الولد عن الله سبحانه، ومسألة الشفاعة، وهي تشكل بمجموعها برنامجاً تربوياً مؤثراً من أجل دفع النفوس الانسانية الى الايمان والطهارة والتقوى.

سُورَةُ مَرۡيَمَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ
مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ
ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي
عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ
شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

اللغة والبيان:

وهن: الوهن الضعف ونقصان القوة.

اشتعل الرأس شيباً: استعارة من اشتعال النار للشيب.

شقياً: المراد بالشقي هنا الخائب أي ما خيبتني من قبل في دعائي إياك.

الموالي: أقارب الرجل من جهة الأب.

من ورائي: من بعدي.

وليّاً: أي وارثاً.

رضيّاً: مرضياً عندك.

عتيّاً: أي بلغ من الكبر الى حال يبست معها مفاصله وعظامه.

سويّاً: صحيحاً سليماً من كل آفة.

المحراب: المصلّى.

الكتاب: المراد به هنا التوراة.

حناناً: الحنان العطف والرحمة.

الزكاة: الطهارة.

تقياً: التقوى طاعة الله.

الجبار: المتعالي الذي لا يخضع لشيء.

والعصي: العاصي.

والسلام: الأمان.

انتبذت: اعتزلت.

مكاناً شرقياً: الى جهة الشرق.

روحنا: جبريل.

سوياً: كامل البنية.

أعوذ: اعتصم.

مقضياً: محتوماً.

قصيّاً: بعيداً.

فأجاءها: الأصل جاء فدخلت همزة التعدي على الفعل فصار أجاءها مثل أقامه وأقعده.

المخاض: الطلق.

نسياً: النسيء الشيء الحقير الذي لا يؤبه له.

سريّاً: لها معانٍ في اللغة، منها الجدول والقائد.

جنياً: الجني من الثمر ما نضج وصلح للاجتناء والقطف.

التفسير:

حقيقة الحروف المقطعة في القرآن:

كهيعَص (١)

تسع وعشرون سورة من سور القرآن تبدأ بحروف مقطعة، مثل الم، الر، وحم، وما شاكل ذلك. هذه الحروف من أسرار القرآن، وقد ذكر المفسرون لها تفاسير عديدة، وأضاف لها العلماء المعاصرون تفاسير جديدة من خلال تحقيقاتهم.

أهم هذه التفاسير وأقربها الى الواقع والفهم، أن هذه الحروف إشارة الى أن هذا الكتاب السماوي بعظمته وأهميته التي حيّرت فصحاء العرب وغير العرب، وتحدّت الجن والانس في عصر الرسالة وكل العصور بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة، مع

أنه يتكون من نفس الحروف المتيسرة في متناول الجميع، فأشار بذكر هذه الحروف (كهيعص) ونحوها الى أن هذا الكتاب المعجز مؤلف من جنس هذه الحروف التي هي في متناول ايديكم فعجزكم – اذن – دليل قاطع على ان هناك سراً ولا تفسير لهذا السر إلاّ أن هذا القرآن من وحي السماء، لا من صنع الأرض وأنه لم يصدر عن فكر بشر.

والشاهد على هذا المنحى من تفسير الحروف المقطعة، حديث الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام حيث يقول:« كذّب قُرَيْشٌ واليهود بالقرآن وقالوا هذا سحرٌ مبينٌ، تقوّله، فقال الله:

﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ.....﴾

أي يا محمد، هذا الكتاب الذي أنزلته إليك هو الحروف المقطّعة التي منها الف ولام وميم، وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين...« [1]

شاهد آخر عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في قوله: « ثمَّ قال إن الله تبارك وتعلى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب، ثم قال:

﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن....﴾ [2].

دعاء زكريا عليه السلام المؤثر:

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾(٢)

أي هذا خبر يقصه عليك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآيات كيف رحم سبحانه عبده ونبيه زكريا، ويعني بالرحمة إجابته إياه حين دعاه وسأله

(١) – تفسير البرهان: ج١/ ٥٤

(٢) – توحيد الصدوق: ص ١٦٢/ ط سنة ١٣٧٥ هـ.ق

الولـد، وزكريا عليه السلام اسـم نبي من أنبيـاء بني اسـرائيل كان من أولاد هارون بن عمران اخي موسى بن عمران.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (٣)

أي حين دعا ربه دعاءً خفياً سـراً غير جهر يخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على أن المسـتحب في الدعاء، الاخفاء وإن ذلك اقـرب الـى الاجابة وفي الحديـث: خير الدعاء الخفـي وخير الرزق ما يكفـي. وقيل إنما أخفـاه لئلا يهزأ بـه الناس فيقولوا انظـروا الى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّـي وَهَـنَ الْعَظْـمُ مِنِّي وَاشْتَعَـلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَـمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٤)

أي يا رب ضـعف العظم وتناقصـت قوّتي، وانتشر وتلألأ الشيب في رأسـي لكثرته، ولم أكن بدعائي إياك فيما مضـى مخيبـاً محروماً فلا تخيبني فيما أسألك ولا تحرمني إجابتك فيما أدعوك.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٥)

أي أخـاف إن جـاء أجلـي أن يرثنـي بنـو عمومتـي، وهـم من بني اسـرائيل، وقيل انهم كانوا من شـرار الناس.. وليس هذا ببعيد عنهم، فـإذا خلفه ورثوه وأسـاءوا الى الناس، وأفسـدوا عليهم دينهم ودنياهم (وكانت امرأتي) عقيماً لا تلد، ورغم كبر سنها وشيخوخة زكريا عليه السلام فإنه كان عظيم الثقة بخالقه فدعاه، أن يجبر كسـره، ويقضـي حاجته بأن يرزقه ولداً ولياً يكون أولى بميراثي.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٦)

والمـراد بالوراثـة: وراثة ما تركه الميت من الأمـوال وامتعة الحياة (يَرِثُنِـي وَيَـرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُـوبَ) وذلك لأن زوجته كانـت خالة مريم ام عيسى، ويتصل نسـبها بيعقوب، لأنها كانت من أسرة سليمان بن داود، وهـو من أولاد يهودا بـن يعقوب، واجعل يا رب ذلـك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك.

بلوغ زكريا عليه السلام أمله:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (٧)

استجاب الله دعاء زكريا، وبشره بأنه سيولد له ذكر، وأن الله سبحانه سماه يحيى، وهو في صلب أبيه، وما سُمي أحد من قبله بهذا الاسم، وقيل: أن يحيى هو يوحنا المعروف بالمعمداني عند المسيحيين.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (٨)

ليس هذا استبعاداً، بل تعظيماً وشكراً لأنعم الله وقدرته التي تخطت السـنن والعادات، فهو شيخ كبير، وزوجته عجوز عقيم، ومع هذا قد منَّ الله بالعطاء، وأنعم بالولد.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (٩)

أي قال سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر، أردُّ عليك قوتك، وهو أمر سهل بالنسبة لله عزّ وجلّ، فقد أنشأتك وأوجدتك ولم تك شيئاً موجوداً فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع الولد أيسر في الاعتبار من ابتداء الانشاء، وروى الحكم بن عيينة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠)

طلب زكريا عليه السلام من ربه علامة على وجود الحمل (قال) سبحانه علامتك على ذلك عدم القدرة على تكليم الناس وأنت سويٌّ صحيح سليم، فكان عليه السلام يذكر الله بفنون الذكر ولا يقدر على تكليم الناس إلاّ رمزاً وإشارة.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١)

أي خرج زكريا عليه السلام من محراب عبادته الى الناس وأشار إليهم وأومى بيده وقيل كتب لهم في الأرض أن صلّوا بكرة وعشياً، وقيل أنه كان يشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد إليها إلاّ بسلّم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء.

- قصة زكريا عليه السلام في القرآن:

وصفه الله سبحانه في كلامه بالنبوة والوحي، ووصفه في اول سورة مريم بالعبودية، وذكره في سورة الانعام في عداد الأنبياء وعدّه من الصالحين ثم من المجتبين – وهم المخلصون- والمهديين.

لم يرد من أخباره في القرآن إلا دعاءه لطلب الولد واستجابته وإعطاؤه يحيى عليه السلام، وذلك بعد ما رأى من أمر مريم في عبادتها وكرامتها عند الله ما رأى.

فذكر سبحانه أن زكريا عليه السلام تكفل مريم لفقدها أباها عمران ثم لما نشأت اعتزلت عن الناس واشتغلت بالعبادة في محراب لها في المسجد، وكان يدخل عليها زكريا يتفقدها « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ».

هنالك دعا زكريا ربه وسأله أن يهب له من امرأته ذرية طيبة وكان شيخاً فانياً وامرأته عاقراً فاستجيب له ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى فسأل ربه آية لتطمئن نفسه أن النداء من جانبه سبحانه فقيل له: إن آيتك أن يعتقل لسانك فلا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً وكان كذلك وخرج على قومه من المحراب وأشار إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً وأصلح الله له زوجه فولدت له يحيى عليه السلام.

ولم يذكر في القرآن مآل أمره عليه السلام وكيفية ارتحاله لكن وردت أخبار متكاثرة من طرق العامة والخاصة، أن قومه قتلوه وذلك أن أعداءه قصدوه بالقتل فهرب منهم والتجأ الى شجرة فانفرجت له فدخل في جوفها ثم التأمت فدلهم الشيطان عليه وامرهم أن ينشروا الشجرة بالمنشار ففعلوا وقطعوه نصفين فقتل عليه السلام عند ذلك.

وقد ورد في بعض الأخبار أن السبب في قتله أنهم اتهموه في أمر مريم... وقالوا: هو وحده كان المتردد إليها الداخل عليها، وقيل غير ذلك.

- صفات يحيى عليه السلام البارزة:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢)

ها هنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم

والعقـل وقلنـا له يا يحيى خـذ الكتاب يعني التوراة بمـا قواك الله عليه وايدك به، وآتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين.

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣)

أي وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة الله تعالى، وآتيناه عملاً صالحاً زكياً وكان مخلصاً مطيعاً متقياً لما نهى الله عنه قالوا من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤)

أي بـاراً بوالديـه محسـناً إليهمـا مطيعـاً لهمـا لطيفاً بهمـا طالباً مرضاتهما، ولم يكن متكبراً متطاولاً على الخلق ولا عاصياً لربه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٥)

أي سـلام عليه يوم ولد فلا يمسـه مكروه في الدنيا يزاحم سعادته، وسـلام عليه يوم يموت، فسيعيش في البرزخ عيشة نعيمة، وسلام عليه يوم يبعث حيّاً فيحيى فيها بحقيقة الحياة ولا نصب ولا تعب.

وهذا كناية عن أن يحيى مرضي عند الله دنيا وآخرة، ومن الواضح ان رضاه تعالى نتيجة طبيعية للنعوت التي نعت الله بها يحيى عليه السلام.

- قصة يحيى عليه السلام في القرآن:

ذكره سـبحانه في بضـعة مواضـع من كلامه وأثنى عليه ثناءً جميلاً فوصفه بأنه كان مصدقاً بكلمة من الله وهو تصديقه بنبوة المسيح عليه السلام وأنه كان سيداً يسود قومه، وأنه كان حصوراً لا يأتي النساء، وكان نبيّاً ومن الصالحين، ومن المجتبين وهم المخلصون، ومن المهديين، وأن الله هو سـماه بيحيى ولم يجعل له من قبل سـمياً، وأمره بأخذ الكتاب بقوة وآتاه الحكم صبياً، «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» [1]

(١) - مريم /١٥

ومدح بيت زكريا بقوله:« إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين »[1] وهم يحيى وأبوه وأمه.

ولـد عليه السلام لأبويه على خرق العـادة فقد كان أبوه شـيخاً فانياً وأمه عاقراً فرزقهما الله يحيى وهما آئسان من الولد، وأخذ بالرشد والعبادة والزهد في صـغره وآتاه الله الحكم صـبياً، وقد تجرد للتنسـك والزهد والانقطاع فلم يتزوج قط ولا ألهاه شيء من ملاذ الدنيا.

كان معاصـراً لعيسـى بن مريم عليهما السلام وصدّق نبوّته، وكان سيداً في قومه تحنّ إليـه القلوب وتميل إليه النفوس ويجتمع إليه الناس فيعظهم ويدعوهم الى التوبة ويأمرهم بالتقوى حتى استشهد عليه السلام.

ولـم يـرد في القرآن مقتلـه عليه السلام، والذي ورد في الأخبـار أنه كان السـبب في قتله أن امرأة بغياً افتتن بها ملك بني اسـرائيل وكان يأتيها فنهـاه يحيى ووبخـه على ذلـك – وكان مكرماً عند الملـك يطيع أمره ويسـمع قوله، فاضـمرت المرأة عداوته وطلبت من الملـك رأس يحيى وألحت عليه فأمر به فذبح وأُهدي إليها رأسه.

وفـي بعض الأخبار أن التـي طلبت منه رأس يحيـى كانت ابنة أخي الملـك وكان يريد ان يتزوج بها فنهاه يحيـى عن ذلك فزينتها أمها بما يأخـذ بمجامع قلب الملك وأرسـلتها إليه ولقنتهـا إذا منح الملك عليها بسـؤال حاجة أن تسـأله رأس يحيى ففعلت فذبح عليه السلام ووضع رأسه في طست من ذهب وأُهدي إليها.

وفي الروايات نوادر كثيرة من زهده وتنسـكه وبكائه من خشـية الله ومواعظه وحكمه.

---

(١) – الأنبياء /٩٠

- ولادة عيسى عليه السلام :

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦)

أي واذكر يا محمد في القرآن حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقتدي الناس بها ولتكون معجزة لك، إذ انفردت من أهلها الى مكان من جهة المشرق وقعدت ناحية منهم.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧)

أي فضربت من دون أهلها لئلاّ يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم (فأرسلنا إليها) جبرئيل، وسمّاه الله روحاً لأنه روحاني وأضافه الى نفسه تشريفاً له، فأتاها جبرئيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨)

معناه إني أعتصم بالرحمن من شرّك فاخرج من عندي إن كنت تقياً، فليردعك تقواك عن ان تتعرض بي وتقصدني بسوء.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩)

أي لا تخافي، أنا ملاك لا إنسان وقديس لا إبليس، جئت لأقول لك إن الله سبحانه قد وهبك ولداً طاهراً مطهراً.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠)

كيف يكون لي ولد ولم يخالطني قبل هذا الحين رجل لا من طريق الحلال بالنكاح ولا من طريق الحرام بالزّنا وكل شيء دونه حتى الموت

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٢١)

المعنى قال جبرئيل حين سمع تعجبهامن هذه البشارة الأمر كذلك كما وصفت لك، فإحداث الولد من غير زوج للمرأة سهل يسير لا يشق علي، ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أُمّه، ولنجعله نعمة منا على الخلق يهتدون بسببه، وكان خلق عيسى عليه السلام من غير ذكر أمراً كائناً مفروغاً عنه محتوماً قضى الله سبحانه بأن يكون وحكم به.

- مريم عليها السلام في خضم أشد عواصف الحياة:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢)

أي حملت بالولد فانفردت واعتزلت به مكاناً بعيداً من قومها حياء من أهلها وخوفاً من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ (٢٣)

أي ألجأها الطلق وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتستند اليها وتستفيد من ثمرها وظلها (قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت) شيئاً حقيراً متروكاً.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤)

أي ناداها جبرئيل او عيسى – وهو الأقرب- ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تغتمي قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتتطهرين به.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (٢٥)

معناه اجذبي إليك بجذع النخلة وكانت يابسة وإنّما اخضرّت وأورقت واثمرت رطباً جنياً لساعتها، فالوضع الذي كانت فيه مريم عليها السلام معجزات في معجزات.

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا
فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ
وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ
فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

اللغــة والبيـــان:

فرياً: من الفرية، والمراد بها هنا دعوى الولادة بلا أب.

المهد: الموضع يهيأ للصبي.

الكتاب: المراد به الانجيل.

الأحزاب: المراد بها طوائف أهل الكتاب.

من بينهم: أي أن الاختلاف لم يخرج عنهم كما تقول اختلفوا فيما بينهم.

فويلٌ: الويل الخزي والهوان.

يوم الحسرة: يوم القيامة.

صدّيقاً: الصّديق مبالغة في الصدق والاخلاص.

صراطاً سوّياً: الصراط السوي الطريق القويم.

مليّاً: دهراً طويلاً.

حفيّاً: كثير الحفاوة والاعتناء.

شقياً: خائباً في مسعاه.

التفسيـــــر:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦)

أي فكلي من الرطب الجني الذي يسقط واشربي من هذا الماء لتقرّ عينك سروراً بهذا الولد الذي ترين لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة، وأما ما تخافين من تهمة الناس وإساءتهم فالزمي السكوت ولا تكلمي أحداً فأنا أكفيكهم.

- المسيح عليه السلام يتكلم في المهد:

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧)

أي فأتت مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام حاملة له وذلك أنها لفّته في خرقة وحملته الى قومها (قالوا يا مريم لقد جئتِ) أمراً عظيماً وقبيحاً ومنكراً إذ لم تلد انثى قبلك من غير رجل.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (٢٨)

هارون أخو موسى، وهي من نسله، والقصد تذكيرها بأصلها الطيب، وأنه إذا زكا الأصل يجب ان يزكوا الفرع، فكيف صدر منها ما لم يصدر مثله عن أصلها، فمن تشبهين أنت بفعلتك هذه التي لا يقدم عليها إلا من كانت بنتاً لرجل سوء، أو بنت امرأة بغي!

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩)

أي فأومت إلى عيسى عليه السلام بأن كلّموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك، وقالوا كيف نكلم صبياً في المهد وفي الحجر رضيعاً.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠)

شرع عيسى عليه السلام في الجواب واقرّ بالعبودية لله تعالى ليبطل به قول من يدعي له الربوبية وكأن الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه، فهو عبد الله سيؤتيه الانجيل وسيجعله نبيّاً وكان ذلك معجزة لمريم عليها السلام على براءة ساحتها.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١)

بيّن سبحانه تمام كلام عيسى عليه السلام فقال (وجعلني) معلماً للخير (وأوصاني) بإقامة الصلاة وأداء الزكاة ما بقيت مكلفاً.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢)

المعنى إني بلطفه سبحانه وتوفيقه كنت محسناً الى والدتي متواضعاً في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الأشقياء.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣)

أي والسلامة عليّ من الله تعالى في هذه الأحوال الثلاث التي تستقبله في كونه ووجوده.

- أيمكن أن يكون لله ولد ؟

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤)

معناه ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى بن مريم هو الصدق والحقيقة لا ما يدّعيه ويشكّ به اليهود وغيرهم فزعمت اليهود أنه ساحر كذاب وزعم غيرهم أنه ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥)

كذبهم سبحانه بأنه ما كان ينبغي لله تعالى وما يصلح له ولا يستقيم أن يتخذ ولداً واحداً ولا اكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك وبيّن السبب في كون عيسى عليه السلام من غير أب بأنه لا يتعذر عليه إيجاد شيء على الوجه الذي أراده.

- يوم القيامة.. يوم الحسرة والأسف:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦)

من كلام عيسى عليه السلام ختم كلامه بالمربوبية كما بدأ كلامه بالشهادة على العبودية ليقطع به دابر غلو الغالين في حقّه ويتم الحجة عليهم، وامر بعبادة الله الواحد الأحد على الطريقة الواضحة التي لا اعوجاج فيها.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧)

أي أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى عليه السلام فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله، فشدّة عذاب الله سبحانه سيحلّ بهم بقولهم في المسيح وذلك يوم القيامة يا له من مشهد عظيم من شدة اهواله وفضحه لهم

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨)

معناه اسمعهم وابصرهم أي بصّرهم وبيّن لهم أنهم إذا أتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنّة والثواب.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩)

المعنى خوّف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل والمحسن هلاّ ازداد من العمل وهو يوم القيامة، فإذا فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار فيها وقوم الجنة فيها مخلّدين، وهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن أحوال الآخرة لا يصدّقون بذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠)

أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها من العقلاء لأنّا نميتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف، وإلينا يردُّون بعد الموت أي الى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا.

- قصة عيسى عليه السلام وأمّه في القرآن:

كانت أمّ المسيح مريم بنت عمران حملت بها أمّها فنذرت أن تجعل ما في بطنها إذا وضعته محرراً يخدم المسجد وهي تزعم أن ما في بطنها ذكور فلمّا وضعتها وبان لها أنها أنثى حزنت وتحسّرت ثم سمّتها مريم أي الخادمة وقد كان توفّي أبوها عمران قبل ولادتها فأتت بها المسجد تسلّمها للكهنة وفيهم زكريا فتشاجروا في كفالتها ثمّ اصطلحوا على القُرعة وساهموا فخرج لزكريا فكفلها حتى إذا أدركت ضرب لها من دونهم حجاباً فكانت تعبد الله سبحانه فيها لا يدخل عليها إلاّ زكريّا وكلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله، والله يرزق من يشاء بغير حساب، وقد كانت عليها السلام صدّيقة، وكانت معصومة بعصمة الله طاهرة مصطفاة محدّثة حدّثها الملائكة: بأن الله اصطفاها وطهّرها وكانت من القانتين ومن آيات الله للعالمين.

ثم إن الله تعالى أرسل إليها الرّوح وهي محتجبة فتمثل لها بشراً سوياً، وذكر لها أنه رسول من ربّها ليهب لها بإذن الله ولداً من غير أب، وبشّرها بما سيظهر من ولدها من المعجزات الباهرة، واخبرها أن الله سيؤيده بروح القدس، ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل، ورسولاً الى بني اسرائيل ذا الآيات البيّنات، وانبأها بشأنه وقصّته ثم نفخ الرّوح فيها فحملت به حمل المرأة بولدها.

وكان حمله ووضعه وكلامه وسائر شؤون وجوده من سنخ ما عند سائر الأفراد من الانسان.

فلما رآها قومها ثاروا عليها بالطعنة واللوم بما يشهد به حال امرأة

حملت ووضعت من غير بعل، وقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً يا أخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امّك بغياً..

فدافع عن أمّه وأزال الريب بكلامه وهو في المهد، فكان هذا الكلام منه عليه السلام كبراعة الاستهلال بالنسبة الى ما سينهض على البغي والظلم وإحياء شريعة موسى عليه السلام وتقويمه، وتجديد ما اندرس من معارضه، وبيان ما اختلفوا فيه من آياته.

ثم نشأ عيسى عليه السلام وشب وكان هو وأمه على العادة الجارية في الحياة البشرية يأكلان ويشربان وفيهما ما في سائر الناس من عوارض الوجود الى آخر ما عاشا.

ثم إن عيسى عليه السلام أوتي الرسالة الى بني اسرائيل فانبعث يدعوهم الى دين التوحيد والى شريعته الجديدة وهو تصديق شريعة موسى عليه السلام إلا أنه نسخ بعض ما حرّم في التوراة تشديداً على اليهود، وكان يقول: يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.

وأنجز عليه السلام ما ذكره له من المعجزات كخلق الطير واحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والاخبار عن المغيبات بإذن الله.

ولم يزل يدعوهم الى توحيد الله وشريعته الجديدة حتى أيس من إيمانهم لما شاهد من عتوّ القوم وعنادهم واستكبار الكهنة والأحبار عن ذلك فانتخب من الشرذمة التي آمنت به الحواريين أنصاراً له الى الله سبحانه.

ثم إنّ اليهود ثاروا عليه يريدون قتله فتوفاه الله ورفعه إليه، وشبه لليهود فمن زاعم أنهم قتلوه، ومن زاعم أنهم صلبوه، ولكن شبه لهم

-إبراهيم عليه السلام ومنطقه المؤثر والقاطع:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١)

ذكر سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام فقال (واذكر) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن كثير التصديق في أمور الدين والذي كان عليّاً رفيع الشأن برسالة الله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٤٢)

هناك اختلاف بين العلماء في المراد من أبي ابراهيم عليه السلام المذكور في القرآن: هل هو الأب الحقيقي، أو الأب المجازي أي أخو الأب، ومهما يكن فان ابراهيم عليه السلام دعا اباه الحقيقي أو المجازي الى الاسلام، واحتج عليه بمنطق العقل والفطرة، حيث كان أبوه يعبد الأصنام التي هي من حجارة صماء لا تنفع ولا تضر تعبدها وتسجد لها ؟ فأين عقلك وفهمك.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣)

كل الناس الذين يرفضون عبادة الأصنام هم أعلم وأعقل ممن يعبدها، فكيف الأنبياء الذين يتلقون العلم من الله سبحانه ؟ ومنهم ابراهيم عليه السلام الذي قال لأبيه اقتد بي، أوضح لك طريقاً مستقيماً معتدلاً غير جائر بك عن الحق الى الضلال.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤)

أي لا تطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان

الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده (إن الشيطان كان للرحمن) عاصياً.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥)

أي إني أخاف يا أبت أن يأخذك شيء من عذاب خذلانه، وتنقطع عنك رحمته فلا يبقى لتولّي أمرك إلا الشيطان، فتكون ولياً للشيطان والشيطان مولاك فتكون موكولاً إليه وهو لا يغني عنك شيئاً.

- نتيجة البعد عن الشرك والمشركين:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦)

أي أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام (يا ابراهيم) وتارك لها، لئن لم تمتنع عن هذا (لأرجمنك) بالحجارة، وفارقني دهراً طويلاً.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤٧)

قابل ابراهيم عليه السلام اباه – فيما أساء إليه وهدّده- بالسّلام الذي فيه إحسان واعطاء الأمان، ووعده أن يستغفر له ربّه، إنه سبحانه كان باراً لطيفاً رحيماً.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨)

أي أتنحى منكم جانباً وأعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام، واعبد الله سبحانه رجاء أن يقبل طاعتي وعبادتي ولا اشقى بالرد فإن المؤمن بين الرجاء والخوف.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)

أي (فلما) فارقهم وهاجرهم الى الأرض المقدسة ورزقناه بإسحاق ويعقوب وأنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله وكلاّ من هذين جعلناه نبياً يقتدى به في الدين.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٥٠)

لم يذكر سبحانه نوع الموهوب، لأن كلمة رحمتنا تومىء إليه، وكفى بمرضاة الله هبة ونعمة، والمراد بلسان الصدق ما يردده الناس جيلاً بعد جيل من حسن الثناء على ابراهيم عليه السلام واسحاق عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ويعقوب عليه السلام.

- قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن:

كان ابراهيم عليه السلام في طفوليّته الى اوائل تمييزه يعيش في معزل من مجتمع قومه ثم خرج إليهم ولحق بأبيه فوجده وقومه يعبدون الأصنام فلم يرتضى منه ومنهم ذلك وقد كانت فطرته طاهرة زاكية مؤيدة من الله سبحانه بالشهود الحق وإراءة ملكوت كلّ شيء بالجملة وبالقول الحق والعمل الصالح.

فاخذ يحاجّ أباه في عبادة الأصنام ويدعوه الى رفضها وتوحيد الله سبحانه واتباعه حتى يهديه الى مستقيم الصراط ويبعده من ولاية الشيطان، ولم يزل يحاجّه ويلحّ عليه حتّى زبره وطرده وأوعده أن يرجمه إن لم ينته عن ذكر آلهته بسوء والرّغبة منها.

فتلطّف إبراهيم عليه السلام إرفاقاً به وحناناً عليه وقد كان ذا خلق كريم وقول مرضيّ فسلّم عليه ووعده أن يستغفر له..

وقد كان من جانب آخر يحاجّ القوم في أمر الأصنام.. حتى خرج القوم ذات يوم الى عبادة جامعه خارج البلد واعتل هو بالسّقم فلم يخرج معهم وتخلف عنهم فدخل بيت الأصنام فراغ على آلهتهم ضرباً باليمين فجعلهم جذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون فلمّا تراجعوا وعلموا بما حدث بآلهتهم وفتّشوا عمّن ارتكب ذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم،فأحضروه الى مجمعهم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون فاستنطقوه فقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون... وبعدما إنكشف أمره.

قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم...

ثم لما أنجاه الله من النار أخذ يدعوا الى الدين الحنيف دين التوحيد فآمن من له شرذمة قليلة وقد سمّى الله تعالى منهم لوطاً ومنهم زوجته التي هاجر بها وقد كان تزوج بها قبل الخروج الى الأرض المقدسة.

ثم تبرّأ هو عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قومهم وتبرّأ هو من آزر الذي كان يدعوه أباً ولم يكن بوالده الحقيقي وهاجر ومعه زوجته ولوط الى الأرض المقدسة ليدعو الله سبحانه من غير معارض يعارضه من قومه الجفاة الظالمين.. وبشره الله سبحانه هناك بإسماعيل وباسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقد شاخ وبلغه كبر السّن فولد له اسماعيل ثم ولد له إسحاق وبارك الله سبحانه فيه،وفي ولديه وأولادهما.

ثم أنه عليه السلام بأمر من ربّه ذهب الى أرض مكة وهي وادٍ غير ذي زرع

فأسكن فيه ولده اسماعيل عليه السلام وهو صبي ورجع الى الأرض المقدّسة فنشأ اسماعيل هناك واجتمع عليه قوم من العرب القاطنين هناك وبنيت بذلك بلدة مكة.

وكان عليه السلام ربما يزور اسماعيل في أرض مكة قبل بناء مكة والبيت وبعد ذلك، ثم بنى بها الكعبة البيت الحرام بمشاركة من اسماعيل عليه السلام وهي أول بيت وضع.. ثم امره بذبح ولده اسماعيل عليه السلام فخرج معه للنسك فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين..

وفداه الله بذبح عظيم.

وآخر ما قصَّ القرآن الكريم من قصصه عليه السلام أدعيته في بعض أيام حضوره بمكة المنقولة في سورة ابراهيم، وآخر ما ذكر في قوله عليه السلام: « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب».

- موسى عليه السلام : نبيّ مخلص ومجتبى:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)

هنا يشير سبحانه الى موسى عليه السلام الذي هو ذرية إبراهيم عليه السلام، والذي سار على خطاه ويخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقول له (واذكر) في القرآن (موسى إنّه) أخلص العبادة لله تعالى وأخلص نفسه لأداء الرسالة، فأخلصه الله بالنبوة واختاره للرسالة (وكان رسولاً) الى فرعون وقومه (نبيّاً) رفيع الشأن عالي القدر.

وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيّٗا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ
أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن
كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَواْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ﴿٧٦﴾

اللغـة والبيـــان:

الطور: جبل بين مصر ومدين.

نجيّاً: مناجياً.

اجتبينا: اصطفينا.

فَخَلفَ: الخلف بفتح اللام النسل الصالح، وبسكونها النسل الطالح، وهو المراد هنا وقد يستعمل كل منهما في معنى الآخر.

غيّاً: الغيّ الخسران، ويستعمل في الضلال.

عدن: العدن الإقامة.

مأتيّاً: آتياً، اسم فاعل بصيغة اسم المفعول.

لغواً: اللغو فضول الكلام.

سميّاً: السمي الشبيه والمثيل.

يذكر: أي يتذكر.

جثياً: جمع جاثٍ، وهو البارك على ركبتيه.

الشيعة: الجماعة المتعاونون على أمر واحد.

عتيّاً: العتي والعتو بمعنى واحد، وهو الكبر والتمرد.

صليّاً: الصلي مصدر صلى النار.

نديّاً: الندي المجلس.

القرن: أهل كل عصر.

أثاثاً: الأثاث أدوات البيت.

رئياً: الرئي المنظر والهيئة.

مدّاً: المد الامهال.

جنداً: الجند الأنصار.

مردّاً: المرد المرجع والعاقبة.

التفسيـــــــر:

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (٥٢)

الطور جبل بالشـام ناداه الله سـبحانه من جانبه اليمين وهي يمين موسـى عليه السلام وأنه تعالى شـرّف موسـى بالنبـوة والرسـالة، وكلمه بلا واسطة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (٥٣)

أي أنعمنـا عليه بأخيه هـارون حيث قال واجعل لـي وزيراً من أهلي هارون وجعلناه نبياً اشركناه في أمره وشددنا به ازره.

قصة موسى عليه السلام في القرآن:

هو عليه السلام أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم، وأشـير الى قصّـته إجمالاً أو تفصـيلاً في أربع وثلاثين سورة، وقد اختصّ من بين الأنبياء بكثرة المعجزات.

تولّد عليه السلام بمصـر في بيت إسرائيلي حينما كانوا يذبحون المواليد الذّكور من بني اسـرائيل بأمر فرعون وجعلت أمّه إياه في تابوت وألقته في البحر وأخذ فرعون إيّاه ثم ردّه الى أمّه للإرضـاع والتربية ونشأ في بيت فرعون.

ثـم بلغ أشـدّه وقتل القبطي وهرب من مصـر الى مديـن خوفاً من فرعون وملائه أن يقتلوه قصاصاً.

ثم مكث في مدين عند شـعيب النبي عليه السلام وتزوج إحدى إبنتيّه. ثم لمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً وقد ضلّوا الطريق في ليلة شـاتية فأوقفهم مكانهم وذهب الى النار ليأتيهم بقبس أو يجد على النار هدى فلمّا أتاها ناداه الله من شـاطىء الوادي الأيمن

فـي البقعة المباركة من الشـجرة وكلّمـه واجتباه وآتاه معجزة العصـا واليد البيضاء في تسع آيات واختاره للرسالة.

فأتى فرعون ودعاه الى كلمة الحق وأن يرسـل معه بني اسـرائيل ولا يعذّبهم وأراه آية العصـا واليد البيضـاء فأبى وعارضه بسحر السحرة حيث تغلب موسى عليه السلام عليهم بعصاه المسددة وأمنوا بربّه وربّ هارون فهددهم فرعون ولم يؤمن.

فلم يزل موسى عليه السلام يدعوه وملأه ويريهم الآية بعد الآية كالطّوفان والجراد والقمل والضـفادع والدّم وآيات مفصّـلات وهم يصـرّون على اسـتكبارهم، وكلّما وقع عليهم الرّجز قالوا: يا موسـى ادع لنا ربك بما عهـد عندك لئن كشـفت عنّـا الرّجز لنؤمنـنَّ لك ولنرسـلنَّ معك بني اسرائيل فلمّا كشف الله عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه إذا هم ينكثون. فأمره الله أن يسري ببني إسرائيل ليلاً فساروا حتى بلغوا ساحل البحر فعقبهـم فرعون بجنوده فلما تراآى الفريقان قال أصـحاب موسـى إنّا لمدركون قال كلاّ إن معي ربي سـيهدين فأمر بأن يضرب بعصاه البحر فانفلـق الماء فجاوزوا البحر وأتبعهم فرعـون وجنوده حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً أطبق الله عليهم الماء فأغرقهم عن آخرهم.

ولمّا أنجاهم الله من فرعون وجنوده وأخرجهم الى البرّ ولا ماء فيه ولا كلاء أكرمهم الله فأنزل عليهم المنّ والسّلوى وأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً. قد علم كلّ أناس مشربهم..

ثم واعد الله موسـى أربعين ليلة لنزول التـوراة بجبل الطّور فأختار قومه سبعين رجلاً ليسمعوا تكليمه تعالى إياه فسمعوا ثم قالوا: لن نؤمن لـك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصـاعقة وهم ينظرون ثم أحياهم

الله بدعوة موسى عليه السلام ، ولما تمّ الميقات أنزل الله عليه التوراة وأخبره أن السامريّ قد أضلّ قومه بعده فعبدوا العجل.

فرجع موسى الى قومه غضبان اسفاً فأحرق العجل ونسفه في اليمّ وطرد السّامري وقال له: اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وأمّا القوم فأمروا أن يتوبوا ويقتلوا أنفسهم فتيب عليهم بعد ذلك ثم استكبروا عن قبول شريعة التوراة حتى رفع الله الطّور فوقهم.

ثم إنهم ملّوا المنّ والسّلوى وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه أن يدعو ربّه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها فأمروا أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم فأبوا فحرّمها الله عليهم وابتلاهم بالتيه يتيهون في الأرض أربعين سنة.

ومن قصص موسى عليه السلام ما ذكره الله في سورة الكهف من مضيّه مع فتاه الى مجمع البحرين للقاء العبد الصالح وصحبته حتى فارقه.

- لمحة عن هارون عليه السلام :

كان هارون عليه السلام ملازماً لأخيه موسى عليه السلام في جميع مواقفه يشاركه في عامة أمره ويعينه على جميع مقاصده.

ولم يرد في القرآن الكريم مما يختص به من القصص إلاّ خلافته لأخيه حين غاب عن القوم للميقات وقال لأخيه هارون إخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، ولمّا رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً وقد عبدوا العجل ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال ربّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

- إسماعيل عليه السلام نبي صادق الوعد:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤)

أي (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (اسماعيل) بن ابراهيم عليه السلام، ولقد اثنى سبحانه عليه بأنه كان اذا وعد بشيء أنجز وعده، وذكر المفسرون ان اسماعيل عليه السلام وعد صاحباً له ان ينتظره في مكان، فتأخر الرجل، وانتظر اسماعيل عليه السلام ثلاثة أيام أو أكثر.. (وكان) مع ذلك (رسولاً نبياً) الى جرهم.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٥٥)

أي (وكان يأمر) قومه وعترته وعشيرته وكان يأمر أهله بصلاة الليل وصدقة النهار (وكان) مع ذلك (عند ربه مرضياً) قد رضي أعماله لأنها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح.

- عظمة مقام إدريس عليه السلام المعنوية:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦)

أي (واذكر) يا محمد (في الكتاب) الذي هو القرآن (إدريس) وهو جد أب نوح عليه السلام واسمه في التوراة أخنوخ وقيل أنه سمي إدريس لكثرة درسه الكتب وهو أول من خط بالقلم وكان خياطاً وأول من خاط الثياب وقيل أن الله تعالى علّمه النجوم والحساب وعلم الهيأة وكان ذلك معجزة له (إنه كان) كثير التصديق في أمور الدين.

- من هو إدريس عليه السلام:

إدريس جد سيدنا نوح عليه السلام واسمه في التوراة (أخنوخ وفي العربية (إدريس) لقد تحدث القرآن عن هذا النبي الكبير مرتين، إحداهما

هنا، والأخرى في سورة الأنبياء آية ٨٥- ٨٦ وقد ذكرت حياته مفصلة في روايات مختلفة إكتفينا هنا بالاشارة.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧)

أي عالياً رفيعاً، وقيل أنه رفع الى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وهو حيٌّ لم يمت وقال آخرون أنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة.

- كان هؤلاء أنبياء واقعيين:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (٥٨)

هم زكريا عليه السلام ويحيى عليه السلام ومريم عليها السلام وعيسى عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وإسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام وهارون عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وإدريس عليه السلام والمعنى: أولئك المنعم عليهم الذين بعضهم من ذرّية آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم عليه السلام وإسرائيل وبعضهم من أهل الهداية والاجتباء، خاضعون للرحمن خاشعون.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (٥٩)

أي قام مقام أولئك الذين أنعم الله سبحانه عليهم، قوم اضاعوا ما أخذوه منهم من الصلاة والتوجه العبادي الى الله سبحانه، بالتهاون فيه والاعراض عنه، واتبعوا الشهوات الصارفة لهم عن المجاهدة في الله تعالى والتوجه إليه (فسوف) يلقون مجازاة الغي.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦٠)

استثناء من الآية السابقة فهؤلاء الراجعون الى الله سبحانه ملحقون بأولئك الذين أنعم الله عليهم وهم معهم في الجنة لا منهم.

- بعض صفات الجنة:

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (٦١)

يصف سبحانه الجنّة بأنها جنات إقامة وعدهم تعالى أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدّقوه وهو غائب عنهم فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وما وعد به المؤمنين آتيا لا محالة.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٦٢)

أي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو إلاّ سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض، ويؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء والعشاء، وهو كناية عن تواليه من غير انقطاع.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (٦٣)

أي إنما نملك تلك الجنّة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات.

- نحن عباد أرواحنا وقلوبنا على الأكف:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤)

- سبب النزول:

قال إبن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرئيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما نتنزل إلا بأمر ربك) الآية.

أي إذا أمرنا نزلنا عليك، له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا أي ما مضى من أمر الدنيا وما بين النفختين، وما نسيك يا محمد وإن أخّر الوحي عنك.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥)

أي خالقهما ومدبّرهما (وما بينهما) من الخلائق والأشياء (فاعبده) وحده لا شريك له واصبر على تحمل مشقة عبادته، هل تعلم أحداً يسمى إلهاً خالقاً رازقاً محيياً قادراً على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته.

- من أوصاف أهل النار:

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (٦٦)

لمّا تقدم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيبه قول منكري البعث وردّ عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان بطريقة الانكار والاستهزاء، أي أإذا ما متُّ أعادني الله حيّاً، فقال سبحانه مجيباً لهذا الكافر.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (٦٧)

أي أولا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الاعادة، فهو قبل ذلك لم يك شيئاً كائناً مذكوراً.

- سبب النزول:

على رأي جماعة من المفسرين – نزلت في حق أُبي بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، حيث كانوا قد أخذوا قطعة من عظم منخور، ففتوه بأيديهم ونثروه في الهواء حتى تتطاير كل ذرة منه الى جهة، وكانوا

يقولون: انظروا الى محمد الذي يظن أن الله يحيينا بعد موتنا وتلاشي عظامنا مثل هذا العظم ! إن هذا شيء غير ممكن أبداً. فنزلت هذه الآية وأجابتهم جواباً قاطعاً ومفيداً.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (٦٨)

أي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين، ثم لنحضرنهم حول جهنم لإذاقة العذاب وهم باركون على ركبهم من الذلة، أو وهم جماعات وزمرة زمرة.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (٦٩)

أي لنستخرجن من كل جماعة الأعتى فالأعتى منهم، وهم قادتهم ورؤوسهم في الشر والعتي.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ (٧٠)

بيّن سبحانه لنحن أعلم بالذين هم أولى بشدة العذاب وأحق بعظيم العقاب وأجدر بلزوم النار.

- الجميع يردون جهنم:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١)

أي ما من أحد إلاّ ويرى النار عياناً يوم القيامة صالحاً كان أم طالحاً (كان على ربك) واجباً أوجبه على نفسه وقضى بأنه يكون.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢)

ما من أحد منكم إلا وهو سيرد النار ويراها، فالطالح يراها ويدخلها جاثياً على ركبتيه، والصالح يراها ويتجاوزها حامداً شاكراً نعمة النجاة والخلاص.

- منطق هؤلاء الظالمين ومصيرهم:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ (٧٣)

معناه وإذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والأدلة يمكن أن تفهم معانيها، قال الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الإنكار أي الفريقين أي أنحن أم أنتم خير منزلاً ومسكناً أي موضع إقامة (وأحسن) مجلساً، وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبّسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ (٧٤)

المعنى ان الله سبحانه قد أهلك قبلهم أمماً وجماعات كانوا أكثر أموالاً وأحسن منظراً منهم فأهلك أموالهم وأفسد عليهم صورهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا جمالهم كذلك لا يغني عن هؤلاء، وقيل أن المعني بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهيآتهم على أصحاب النبي ﷺ.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (٧٥)

أمر الله سبحانه نبيه ﷺ الكريم ان يقول للذين يرون الخير في

حشـو المعدة: ان هذا الذي تفتخرون به من السعة في العيش هو ابتلاء يمتحن الله به عباده، ويمهلهم أمداً غير قصـير، فإن شـكروا أنعم الله عليهم بالثواب وحسن المآب، وإن ازدادوا كفراً وطغياناً سلط عليهم من يسـومهم سـوء العذاب في الحياة الدني، أو يعذبهم الله العذاب الأكبر في اليـوم الآخر.. وعندها يعلمون أي الفريقين أسـوأ حـالاً: المؤمنين الفقـراء، أو الكافريـن الأغنياء ؟ ولو أن انسـاناً ملك كل ما طلعت عليه الشـمس لم يكن هذا الملك شـيئاً مذكوراً بالقياس الى ادنى عذاب من حريـق جهنـم.. قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ما خيـر بخير بعده النار، وما شـر بشـر بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية «.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ (٧٦)

هذه الآيـة تبين حـال الفريق الآخر، وهـم المؤمنون وأن الله سـبحانه يمـد المهتديـن بالمعونة علـى طاعاته والتوفيـق لابتغاء مرضـاته وهـو مـا يفتحـه لهم مـن الدلالات ومـا يفعلـه بهم من الألطـاف المقربـة مـن الحسـنات، فيزيدهم هدىً علـى هداهم فيوفقـون للأعمـال الباقية الصـالحة والتـي تبقى ببقـاء ثوابها، وتنفـع صـاحبها في الدنيـا والآخرة وهي خير أجـراً وخير عاقبة ومنفعـة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴿٩٨﴾

اللغـــة والبيـــان:

سنكتب ما يقول: أي أن أقواله محفوظة عليه.

نمدُّ له من العذاب: نزيده منه.

نرثه: المراد بها نسلبه.

ما يقول: إشارة الى المال والولد المذكورين في قول الكافر: «لأوتين مالاً وولداً».

ضدّاً: المراد به الأعداء.

تؤزهم: تزعجهم.

وفداً: جمع وافد وهو القادم.

وِرداً: أي يردون جهنم كما ترد الدواب الماء.

إدّاً: الإدّ الأمر العظيم.

يتفطرن: تتفطر تشق.

تخرُّ: تسقط.

لدّاً: اللدُّ جمع ألد، وهو الشديد في الخصومة.

ركزاً: الصوت الخفي.

- التفسيـــر:

- تفكير خرافي ومنحرف:

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾ (٧٧)

معنـاه أرأيت هذا الكافر الـذي كفر بأدلتنا من القـرآن وغيره وهو العاص بن وائل، وقيل غيره، وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة، (وقال) لأعطين مالاً وولداً في الجنّة قالها استهزاء.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾(٧٨)

معنـاه أعلم بالغيب حتى يعلم أهو فـي الجنّة أم لا، أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنّة.

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٧٩)

كلا انـه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً، وسـنأمر الحفظة باثباته عليه لنجازيه به في الآخرة ونوافقه عليه، ونصل له بعض العذاب بالبعض ونزيده عذاباً فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبداً.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾(٨٠)

أي سنسلبه ما لديه من مال وولد، وذلك بموته وإهلاكه، ونبعثه يوم القيامة وحيداً فريداً تماماً كما خلقناه أول مرة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١)

يعنـي ان هـؤلاء الكفـار الذين وصـفتهم اتخـذوا آلهة أي أصـناماً عبدوها، ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢)

معناه أن المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كمـا قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانـوا إيانا يعبدون، ويكونون عوناً عليهم واعداء لهم يخاصمونهم.

- من هم الذين لهم أهلية الشفاعة:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(٨٣)

أي (ألـم تـر) يا محمـد (إنـا) خلينا بينهـم وبين الشـياطين إذا وسوسـوا إليهـم ودعوهم الى الضـلال حتـى أغووهم ولـم نحل بينهم

وبينهم بالالجاء ولا بالمنع بل سلّطناهم عليهم تزعجهم وتهيجهم وتدفع بهم الى المعاصي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (٨٤)

معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة فإنا نعد لهم الأيام والسنين، فإنه لا خير في طول الحياة إلا لمن آمن وعمل صالحاً، أما من كفر واجترح السيئات فحياته وبال عليه.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥)

أي أذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه الى الرحمن أي الى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (٨٦)

أي ونحثّ المجرمين على المسير الى جهنم عطاشاً كالإبل التي ترد عطاشا مشاة على أرجلهم.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٨٧)

أي كل من وفى بعهد الله ولم يخنه في كبيرة ولا صغيرة فقد أعطاه الله عهداً بالفوز والنجاة وبالشفاعة لمن هو اهل لها.

- الله والنبوة:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨)

هذا اخبار عن اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ومشركي العرب، فإن اليهود قالوا عزير ابن الله، وقال غيرهم المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٨٩)

قل لهم يا محمد لقد جئتم بشيء منكر عظيم شنيع فظيع.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (٩٠)

أي أرادت السماوات تنشق لعظم فريتهم، وكادت الأرض تنشق، وكادت الجبال تسقط كسراً شديداً.

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١)

أي بسبب دعوتهم.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩٢)

أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوثه وخروجه من صفة الالهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣)

أي كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه مملوكاً خاضعاً ذليلاً.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤)

أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عدّهم إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥)

أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله سبحانه فرداً وحيداً مفرداً ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولاً بنفسه لا يهمّه همّ غيره.

- الايمان... ومحبوبية المؤمن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦)

- سبب النزول:

في تفسير أبي حمزة الثمالي حدثني أبو جعفر الباقر عليه السلام قال،

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: « قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لـي في قلـوب المؤمنين ودّاً فقالهما علي عليه السلام فنزلـت الآية. وعن ابن عباس: أنّها خاصـة في علي بن أبي طالب عليه السلام فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لعلي عليه السلام.

ولكـن لا يمنـع أن يكون الامام عليه السلام أبرز مصـاديقها وهي تشـمل جميع المؤمنين بحيث إذا أقبل العبد بقلبه الى الله أحبه الله سـبحانه فيرزقه مودّة الصالحين ورحمتهم ومحبتهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٩٧)

أي يسـرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفتـه ولو كان بلسـان آخر مـا عرفوه ومكّناك لتبشـر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر، وتخبرهم بها تسرّهم مما اعدّه الله لهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)

المعنـى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسـمع لهم صـوت وكانوا اكثر اموالاً واعظم أجساماً

واشد خصـاماً من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا اهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين ولا أثر.

والحمد لله رب العالمين، ونسأله أن يرحمنا يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله

تم بتاريخ:

١٥ رمضان المبارك/١٤٢٩ هـ.ق

بيروت-لبنان

المصـــادر

القرآن الكريم.

تفسـير مجمـع البيـان، للشـيخ ابـي علـي الفضـل بن الحسـن الطبرسـي قدس سره.

تفسير الميزان، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره.

مختصر الميزان في تفسير القرآن، سليم الحسني.

الأمثـل فـي تفسـير كتـاب الله المنـزل، للشـيخ ناصـر مـكارم الشيرازي.

التفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.

التفسير المبين، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.

تفسير القرآن الكريم، للسيد عبد الله شبر قدس سره.

ميزان الحكمة، لآية الله محمد الرّي شهري.

الفهرس

المقدمة ٥

فضل قراءة سورة مريم: ٧

موضوعات السورة: ٨

الآيات من ١ إلى ٢٥ ..... ٩

اللغة والبيان: ١١

التفسير: ١٢

حقيقة الحروف المقطعة في القرآن: ١٢

دعاء زكريا عليه السلام المؤثر: ١٣

بلوغ زكريا عليه السلام أمله: ١٥

- قصة زكريا عليه السلام في القرآن: ١٦

- صفات يحيى عليه السلام البارزة: ١٧

- قصة يحيى عليه السلام في القرآن: ١٨

- ولادة عيسى عليه السلام: ٢٠

- مريم عليها السلام في خضم أشد عواصف الحياة: ٢١

الآيات من ٢٦ إلى٥١ ..... ٢٢

اللغة والبيان: ٢٤

التفسير: ٢٤

- المسيح عليه السلام يتكلم في المهد: ٢٥

- أيمكن أن يكون لله ولد ؟ ٢٦

- يوم القيامة.. يوم الحسرة والأسف: ٢٦

- قصة عيسى عليه السلام وأمّه في القرآن: ٢٨

ابراهيم عليه السلام ومنطقه المؤثر والقاطع ٣٠

- نتيجة البعد عن الشرك والمشركين: ٣١

- قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن: ٣٢

- موسى عليه السلام: نبيّ مخلص ومجتبى: ٣٤

الآيات من ٥٢ إلى ٧٦ ..... ٣٥
اللغة والبيان: ٣٧
التفسير: ٣٨
قصة موسى عليه السلام في القرآن: ٣٨
- لمحة عن هارون عليه السلام: ٤٠
- إسماعيل عليه السلام نبي صادق الوعد: ٤١
- عظمة مقام إدريس عليه السلام المعنوية: ٤١
- من هو إدريس عليه السلام: ٤١
- كان هؤلاء أنبياء واقعيين: ٤٢
- بعض صفات الجنة: ٤٣
- نحن عباد أرواحنا وقلوبنا على الأكف: ٤٣
- سبب النزول: ٤٣
- من أوصاف أهل النار: ٤٤
- سبب النزول: ٤٤
- الجميع يردون جهنم: ٤٥
- منطق هؤلاء الظالمين ومصيرهم: ٤٦
الآيات من ٧٧ إلى ٩٨ ..... ٤٨
اللغة والبيان: ٤٩
- **التفسير:** ٤٩
- تفكير خرافي ومنحرف: ٥٠
- من هم الذين لهم أهلية الشفاعة: ٥١
- الله والنبوة: ٥١
- الايمان... ومحبوبية المؤمن: ٥٣
- سبب النزول: ٥٣
المصادر ٥٥
الفهرس. ٥٧